وقام بعده ولده المسعود، وكان ضد اسمه بخيلاً فاسقاً، حَصَره الكامل بعد ذلك في آمِد، ووجد في قصره خمس مئة امرأة من الحرائر من بنات الناس بغير كتاب، وأخذه الكامل إلى مِصْر وأحسن إليه، فكاتَبَ الرُّوم، وسعى في هلاك الكامل، فحبسه في الجُبّ مُدَّة، ثم أطلق، ومضى إلى التتر، وكان معه الجواهرُ العظيمة والأموال، وأخت مستحسنة، فقتلوه، وأخذوا الجميع.

ناصر بن مهدي[١]

وزير الخليفة.

وقد طعنوا في نسبه[٢]، ولما عُزِلَ أمر الخليفةُ الشُّعراءَ أن يغمزوه في أشعارهم، وكان جَبّاراً قاسياً، وكانت وفاته بدار طاشْتِكِين في جُمادى الأولى، وفُتِحَ له جامع القَصْر، ومشى بين يديه أربابُ الدَّولة بأَسْرهم والحاشية، ودفن بمقابر موسى بن جعفر.

السنة الثامنة عشرة وست مئة

فيها توجه المعظَّم عيسى إلى أخيه الأشرف، واجتمعا على حَرَّان، وكتب صاحبُ ماردين ناصر الدِّين إلى الأشرف يسأله أن يُصْعِدَ المعظم إليه، فسأله، فسار إلى ماردين، فتلقَّاه صاحب ماردين في دُنَيْسر، وأصعده إلى القلعة، وخدمه خدمةً عظيمة، وقدَّم له التُّحف والجواهر، واتَّفقا وتحالفا على ما أرادا، وزوَّج المعظم إحدى بناته ناصرَ الدِّين، وزوَّج ابنه بابنته الأخرى، وخَلَعَ على جميعِ أصحابه، وأعطاهم أموالاً، ورجع المعظَّم إلى حَرَّان.

ووصلت الأخبار بوصول التَّتر إلى [كرماشاهان][٣] قريب بغداد، فانزعج الخليفة، وأمر النَّاس بالقنوت في الصَّلاة، وحَصَّن بغداد، واستخدم العساكر.

وفي جُمادى الآخرة فتحت دمياط.

---

(١) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٣/ ١٢ ، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٣٣٣ ، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٢) كان يدّعي أنّه شريف علوي.

(٣) ما بين حاصرتين من (ش).

ذِكْرُ السبب:

كان المعظم من أحرص النَّاس على خلاص دِمْياط و[على][(١)] الغَزَاة، وكان مصافياً لأخيه الكامل، وكان الأشرف مقصِّراً في حَقّ الكامل، مبايناً له في الباطن، فلما اجتمعتِ العساكرُ على حَرَّان، قطع بهم المعظَّم الفرات، وسار الأشرف في آثاره، ونزل المعظم حمص، والأشرف سَلَمِيَّة.

قال المصنف رحمه الله: وكنتُ قد خرجتُ من دمشق إلى حِمْص لطلب الغَزَاة، فإنَّهم كانوا على عَزْمِ الدُّخول إلى طرابُلُس، فاجتمعتُ بالمُعَظَّم على حِمْص في ربيع الآخر، فقال لي: قد سحبتُ الأشرف إلى ها هنا بأسناني وهو كاره، وكل يوم أعتبه في تأخُّره، وهو يكاشر، وأخاف من الفرنج أن يستولوا على مِصْر، وهو صديقك، فأشتهي تقوم تروح إليه، فقد سألني عنك [مراراً][(٢)]، ثم كَتَبَ إليه كتاباً بخطِّه نحو ثمانين سطراً، فأخذته، ومضيتُ إلى سَلَمِيَّة، وبلغ الأشرف وصولي، فخرج من الخيمة، والتقاني، وعاتبني على انقطاعي عنه، وجرى بيني وبينه فضول، وقلتُ له: المسلمون في ضائقة، وإذا أخذ الفرنج الدِّيار المِصْرية ملكوا إلى حَضْرَموت، وعَفُّوا آثار مكة والمدينة والشَّام [وأنت تلعب!][(٢)]، قم السَّاعة وارحل، فقال: ارموا الخيام [والدِّهليز][(٢)]، وسبقته إلى حِمْص [(٣)]والمعظم عينه إلى الطريق، فلما قيل له: وصل فلان، ركب، والتقاني] وقال: ما نمتُ البارحة، ولا أكلتُ اليوم شيئاً. فقلتُ: غداً يصبح أخوك على حِمْص. فلما كان من الغد أقبلتِ الأطلاب، وجاء طُلْبُ الأشرف، والله ما رأيتُ أجملَ منه ولا أحسنَ رجالاً، ولا أكمل عُدَّة، وسُرَّ المعظم سروراً عظيماً، وجلسوا تلك الليلة يتشاورون، فاتَّفقوا على الدُّخول في السَّحَر إلى طرابُلُس [يشوشون على الفرنج][(١)]، وكانوا على حالٍ، فأنطق الله الأشرف من غير قَصْد، وقال للمعظَّم: يا خوند، عِوَض ما ندخل السَّاحل ونضعف خيلنا وعساكرنا ونضيع الزَّمان ما نروح إلى دمياط ونستريح؟ فقال له المعظم: قولَ رُماة البُنْدُق؟ قال: نعم، فقبَّل المعظَّم قدمه، ونام الأشرف، فخرج المعظم من الخيمة كالأسد الضَّاري يصيح: الرَّحيلَ الرَّحيل إلى

(١) ما بين حاصرتين من «المذيل على الروضتين».

(٢) ما بين حاصرتين من (ش).

(٣) في (ح): فتلقاني المعظم وقال: ...، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).

دِمْياط. وما كان يظن أَنَّ الأشرف يسمح بذلك، وساق المعظَّم إلى دمشق وتبعته العساكر، ونام الأشرف في خيمته إلى قريب الظُّهْر [وانتبه، فدخل الحَمَّام، فلم يَرَ حول خيمته أحداً، فقال: وأين العساكر؟][1]، فأخبروه الخبر، فسكت، وساق إلى دمشق، فنزل القُصَيْر يوم الثلاثاء رابع جمادى الأُولى، فأقام إلى سَلْخه، وعَرَضَ العساكر تحت قلعة دمشق، وكان هو وأخوه المعظم في الطَّيَّارة بالقلعة، وساروا إلى مِصْر غُرَّة جمادى الآخرة.

وأما الفرنج فإنَّهم خرجوا بالفارس والرَّاجل، وكان البحر زائداً جداً، فجاؤوا إلى تُرْعة، فأرسوا إليها، وفتح المسلمون عليهم التُّرع من كلِّ مكان، وأحدقتْ بهم عساكرُ الكامل، فلم يبق لهم وصولٌ إلى دمياط، وجاء أُسطول المُسْلمين، فأخذوا مراكبهم، ومنعوهم أن تصل إليهم ميرةٌ من دِمْياط، وكانوا خَلْقاً عظيماً، وانقطعت أخبارُهم عن دمياط، وكان فيهم مئة كند، وثماني مئة من الخَيَّالة المعروفين، وملك عكا، والدوك، واللوكات نائب البابا، ومن الرَّجَّالة ما لا يحصى، فلما عاينوا الهلاك أرسلوا إلى الكامل يطلبون الصُّلْح والرهائن، ويسلِّمون دمياط، فمن حِرْصِ الكامل على خلاص دمياط أجابهم، ولو أقاموا يومين أُخذوا برقابهم، فبعث إليهم الكامل ابنه الصَّالح أيوب، وابن أُخته شمس الملوك، وجاء ملوكهم إلى الكامل ممن سمينا، فالتقاهم، وأَنْعَمَ عليهم، وضَرَبَ لهم الخيام، ووَصَلَ المعظَّم والأشرف في تلك الحال إلى المنصورة في ثالث رجب، فجلس الكامل مجلساً عظيماً في خيمةٍ كبيرةٍ عالية، ومدَّ سماطاً عظيماً، وأحضر ملوك الفرنج، ووقف المعظم والأشرف والملوك في خدمته، وقام الحِلِّي الشَّاعر، وأنشد: [من الطويل]

هنيئاً فإنَّ السَّعْدَ راحَ مُخَلَّدا ... وقد أنجز الرحمن بالنَّصْر مَوْعدا
حبانا إلهُ الخَلْقِ فتحاً بدا لنا ... مبيناً وإنعاماً وعزاً مؤبَّدا
تهلَّل وَجْهُ الدَّهْرِ بعد قطوبه ... وأصبحَ وَجْهُ الشِّرْكِ بالظُّلْمِ أسودا
ولما طغى البحرُ الخِضَمُّ بأَهْله الـ ... ـطغاةِ وأضحى بالمراكب مُزْبدا
أقام لهذا الدِّين مَنْ سَلَّ عزمه ... صقيلاً كما سُلَّ الحسامُ مجرَّدا
فلم ينجُ إلا كلُّ شِلْوٍ مجدَّلٍ ... ثوى منهمُ أو مَنْ تراه مقيَّدا

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

ونادى لسان الكون في الأرض رافعاً عقيرتَهُ في الخافِقَيْنِ ومُنْشدا
أَعُبَّاد عيسى إنَّ عيسى وحزْبه وموسى جميعاً يخدمون محمَّدا[1]

من أبيات.

ووقع الصُّلْح بين الكامل والفرنج يوم الأربعاء تاسع عشر رجب، وسار بعضُ الفرنج في البر، وبعضهم في البحر إلى عكا، وتَسَلَّم الكامل دمياط، ووصلتِ العساكرُ الشَّرقية والشَّامية، وقد أخذ الكامل دمياط.

وحَجَّ بالنَّاس ابنُ أبي فراس، ومعه كتابٌ إلى مكَّة والمدينة بإعادة وليِّ العَهْد أبي نَصْر إلى العهد، وكَتَبَ إلى الآفاق بذلك.

وعاد المعظم إلى الشَّام، وأقام الأشرف بمِصْر عند الكامل، فغيَّر الله القلوب، وصارا متصافيين، واتَّفقا على المعظم.

وولى المعظم الجمال المِصْري قضاء دمشق، وقرأ منشوره بهاءُ الدِّين بنُ أبي اليُسْر [في شهر رجب][2].

وفيها توفي

إسماعيل بن عبد الله[3]

أبو طاهر، الأنماطي المحدِّث.

سمع الكثير، ولقي الشيوخ، وتوفي بدمشق ثالث عشر رجب، ودُفِنَ بمقابر الصُّوفية عند المُنَيْبع، وصلَّى عليه شيخنا موفق الدِّين ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ بجامع دمشق، والفخر ابن عساكر بباب النَّصْر، والجمال المصري عند قبره. [سمع الأنماطي بمصر البوصيري، وابن المقدسي شيخنا، وبدمشق من بركات بن إبراهيم الخشوعي، ورحل إلى العراق، فسمع بواسط أبا الفتح بن المندائي، وابن عبد السميع الهاشمي وغيره، وقرأ على

(١) قال أبو شامة: وبلغني أن وقت الإنشاد أشار عند قوله عيسى إلى المعظم، وعند قوله موسى إلى الأشرف، وعند قوله محمداً إلى الكامل، وهذا من أحسن شيء اتفق. «المذيل على الروضتين»: ١/ ٣٤٦.

(٢) ما بين حاصرتين من (ش).

(٣) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٣/ ٧٩ـ٨٠، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٣٤٨، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

شيخنا الشيخ تاج الدين الكندي «تاريخ الخطيب»، و«طبقات» ابن سعد، وشيئاً كثيراً،][1] وكان ثقة. وقيل: مات سنة تسع عشرة [وست مئة][1].

محمد بن خَلَف بن راجح[2]

المَقْدِسي، ويلقب بالشِّهاب، والد القاضي نجم الدين، [وموسى الصلاح][1].

كان زاهداً، عابداً، ورعاً، فاضلاً في فنون العلوم، سافر إلى بغداد، وسمع الكثير، وحفظ «مقامات» الحريري في خمسين ليلة، [فتشوَّش خاطره][1]، وكان يغسل باطن عينيه فقلَّ نظره، وكان سليم الصَّدْر، من الأبدال، ما خالف أحداً قط.

قال المصنِّف رحمه الله: رأيتُه يوماً وقد خَرَجَ من جامع الجبل، فقال له إنسانٌ: ما تروح إلى بَعْلَبَكّ؟ فقال: بلى، ومشى من ساعته إلى بعلبك بالقَبْقاب.

وكانت وفاته سَلْخ صفر، ودفن بقاسيون عند أهله، [سمع شهدة وابن البطي ومشايخ الشام وغيرهم، وروى لنا الحديث][1].

محمد بن محمد، النَّحْوي التكريتي[3]

أقام ببغداد، وقرأ الأدب، وبرع فيه [وأجاد][1]، ومن شعره: [من مخلع البسيط]

مـن كـان ذَمَّ الـرقـيـبَ يـومـاً ... فـإنَّـنـي لـلـرَّقـيـبِ شـاكِـرْ
لـم أر وَجْـهَ الـرَّقـيـبِ وَقْـتـاً ... إلا ووَجْـه الـحـبـيـبِ حـاضِـرْ

السنة التاسعة عشرة وست مئة

فيها ظهر جَرَادٌ بالشَّام لم يُرَ مثله، فأكل الزَّرْع والشجر والثَّمر، فأظهر المُعَظَّمُ أَنَّ ببلادِ العجم طيراً يقال له السمرمر يأكلُ الجراد، فأرسل الصَّدْر البكري محتسب دمشق، ورتَّب معه صوفية، وقال: تمضي إلى العجم، فهناك عينٌ يجتمع فيها السمرمر، فتأخذ من مائها في

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ١/ ٣٦ـ٣٧ ، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٣٤٦-٣٤٧ ، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٣) لم أقف على مصادر ترجمته.